

## البيكاديللي: ملامح حزينه وخشبة إفتقدت نجومها ملف ترميمه على السكة وبارقة أمل في عودة الروح

شاهد على مرحلة ذهبية من تاريخ لبنان، على ذلك العصر الجميل الذي نحنُ اليه في هذا الزمن. اضاء سماء بيروت بانوار الفن والثقافة والحيوية، هو مسرح قصر البيكاديللي الذي استقطب عشاق الفن الراقي لحضور مسرحية او حفلة غنائية لفنانين لبنانيين او اجانب. انه الحنين لبيروت عاصمة الفكر والثقافة



"كانت ايام عز، رزق الله"، بحسرة يتحدث كل من يستذكر شارع الحمرا في بيروت في خمسينات القرن الماضي وستيناته، حين كان ليله موصولا بنهاره. المقاهي فيه كانت تعج بالمتقنين والفنانين والكتاب والشعراء، نسجت فيه علاقات اجتماعية ترفض التشردم والتفرقة.

ارتبط اسم مسرح قصر البيكاديللي ارتباطا وثيقا بهذا الشارع، وصار مقصدا لنجوم لبنان والعالم وحلم الفنانين والجمهور معا. احداث، تواريخ، اسماء وصور سكنت المكان ولا تزال في ذاكرة من عايش هذه الحقبة.

جيرانه يخبرون عن الطفولة: "انا واخواتي عشنا بهالمسرح. حضرنا مسرحيات، وحتى وقت الحرب كان ملجأ لنا، عيل مسلمة ومسيحية كنا عايشين سوا...". اما جيل اليوم فيقول: "جيلنا مظلوم لأنو بيخبرونا عنو بس، والحكي مش مثل الشوفة".

بدأت القصة في العام 1966، عندما افتتحت شركة عيتاني - ماميش صالة قصر البيكاديللي، التي اعتبرت تحفة هندسية تميزت بتصميمها الذي وضعه المهندس اللبناني وليم صيدناوي والفرنسي روجيه كاشار، مستوحاة من قاعة اوبرا في البرتغال، واقتبس اسمها من بيكاديللي سكوير في لندن. غلب عليها طابع الفخامة، جدران ذهبية، ستائر خمرية، مقاعد من المخمل الاحمر الدافئ العريق، ثريا متدلّية من سقفها مصنوعة من الكريستال البوهيمي احضرت خصيصا من تشيكوسلوفاكيا وركبت قطعة قطعة، تعلو وتنخفض وسط السقف، بيانو ضخّم يصعد من وسط الخشبة. جهزت الصالة باحدث التقنيات العالمية التي تسمح بتقديم مختلف فنون العرض على تنوعها، من اوبرا ومسرح وموسيقى واستعراضات وسينما.

الصالة تتسع لـ 780 شخصا، ولم يكن مسموحا

### البيكاديللي جزء مهم من تاريخ ازدهار لبنان

عمر الشريف وجولي كريستي. ثم ختم قصر البيكاديللي عام 1966 بعرض فيلم "هل باريس تحترق" من اخراج الفرنسي رينيه كليمان، وتمثيل جان بول بلموندو، شارل بواييه، ولسلي كارون. اعلن بعدها عن استقبال فيروز والاخوين رحباني في مسرحية "هالة والملك" في مطلع العام التالي. بعد هذه المسرحية، كرت سبحة تقديم اعمالهم على هذا المسرح وهي على التوالي: الشخص (1968)، يعيش يعيش (1970)، ناس من ورق (1971)، لولو (1974)، ميس الريم (1975)، وبترا (1978). ظل اسم البيكاديللي ملتصقا بالثلاثي فيروز، عاصي ومنصور، حتى ساد اعتقاد بأن المسرح ملكه الرحابنة. ويروي كثر حكاية انقطاع التيار الكهربائي في خلال احد العروض المسرحية، حيث انفردت فيروز بالغناء من دون ميكروفون

ورافقها عاصي على البزق، وكان كل ذلك على ضوء الشموع. كما يروون ان من اراد حضور حفلة من حفلات فيروز، كان عليه ان ينتظر شهرا كاملا واكثر حتى يحجز مقعدا.

المطربة الفرنسية داليدا وقفت على خشبته وغنت لجمهور البيكاديللي في اكثر من اربع حفلات (1972-1975). بعد اولى حفلاتها في الشرق، في لبنان تحديدا، يخبرون انها خرجت مسرورة جدا من نجاح حفلتها في البيكاديللي وصاحت بصوت عال على بابه "بيروت احبك" وسط تصفيق الجمهور من حولها.

قدمت الفنانة المصرية شريهان عرضها المسرحي "شارع محمد علي"، وممرت المسرحية الشهيرة "مدرسة المشاغبين" من البيكاديللي، من دون ان ننسى عروض الموسيقى الكلاسيكية والفرق العالمية مثل "باليه البولشوي"، "الكوميدي فرانسيز"، و"روبال باليه"، اضافة الى فترة التسعينات التي استضافت ملحم بركات، ماجدة الرومي، سلوى القطريب وعددا كبيرا من الفنانين.

تابع القصر رسالته الفنية في شكل متقطع على رغم قساوة الحرب التي اندلعت عام 1975، وصمدت اعمدته امام موجات الحروب والاجتياحات التي عصفت بلبنان. ويحكى ان الاجتياح الاسرائيلي عام 1982 اجبر ياسر عرفات على الاختباء في البيكاديللي مع بعض رفاقه.

على الرغم من كل ذلك، لم تنل الحروب من رسالته. فمع نهاية الحرب، قدمت اعمال ضخمة منها مسرحية "صيف 840" لمنصور الرحباني، و"شارع محمد علي" لشريهان وفريد شوقي، ومسرحيات زياد الرحباني الذي كان آخر من وقف على خشبته بمسرحيات ثلاث قدمها تباعا، من بينها "بخصوص الكرامة والشعب العنيد".

ليل 19 آب عام 2000، جاءت الضربة القاضية عندما اندلع حريق هائل من دون ان تعرف اسبابه، مع ترجيح ان تكون قد احرقته سيجارة سقطت من احد عمال الديكور سهوا. هذا الحريق اسدل الستارة على اداء متألق لمسرح كان رمزا جمع اللبنانيين حول ما هو أكثر خلودا: الفن. القصر لا يزال في مكانه الا ان ابوابه مغلقة، ملامحه حزينه، المقاعد المخملية الحمراء مهترئة، الثريا البلورية فقدت بريقها والخشبة افتقدت الى نجومها.

### المقال

## صناع الأمل يطلبون الحياة

المسرح هو "اب الفنون" واقدماها، المكان الراقي الذي يجمع المشاهد والممثل في ان واحد، هو فن الحوار بالكلمة والحركة. تميزت به بيروت منذ ان اخرج الفنان مارون النقاش اول مسرحية عربية عام 1847 مستوحاة من مسرحية "البخيل" لموليير وعرضها في حديقة منزله في الجميزة، لتشكل يومها الولادة الحقيقية لفن المسرح في العالم العربي.

ثم ظهرت مجموعة من الرواد في مجال المسرح الذين ادركوا اهميته الاجتماعية والثقافية، الا انهم لم يتمكنوا من احتراف العمل المسرحي.

في ستينات القرن الماضي، حقق المسرح اللبناني انجازات كبيرة وتطور. شهدت تلك الفترة تأسيس ثلاثة مسارح: مسرح بيروت في عين المريسة، مسرح شوشو في ساحة البرج ومسرح الاشرافية. ثم كرت السبحة بظهور مسرح اندونيسيا، المارتينيز، الاليزيه، البيكاديللي، المسرح الكبير ومسرح المدينة. ظهرت بعدها اتجاهات ومدارس متنوعة في المسرح، وقدمت المسرحيات باللغات الاربع: العربية، الفرنسية، الانكليزية والارمنية، في ظل بيئة لبنانية حاضنة للتنوع الديني، الطائفي والاجتماعي، شكلت ارضا خصبة للانتاج الفكري المسرحي المتنوع. ما كان لافتا ايضا هو ظهور اللغة المحكية من دون ان تلقى اي انتقادات، لاسيما في الاعمال الكوميدي والغنائية.

في تلك الفترة، صدر مرسوم تأسيس معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية، وعمل في فرع للفنون المسرحية قسم كبير من وجوه الحركة المسرحية انذاك.

الا انه مع اندلاع الحرب عام 1975 ثم الاجتياح الاسرائيلي لبيروت عام 1982، دمرت مسارح واهملت. مع بداية التسعينات تحول التركيز الى الاقتصاد والامناء والاعمار، والنتيجة مسارح مقلدة، ازدياد الضغوط الحياتية على الطبقة الوسطى التي كانت تشكل جمهور المسرح، واصبح لكل منطقة مسرحها.

اليوم، اسئلة كثيرة تطرح عن المسرح ومستقبله في ظل سطوة التلفزيون من جهة، والمنصات الالكترونية من جهة اخرى التي فرضت نفسها ونجحت في آن واحد في ان تكون متنفسا لجأت اليه بعض الفنون. تضاف اليها سياسة اللامبالاة والاستهتار من المعنيين في الدولة اللبنانية منذ سنوات، فيعيش المسرحي اللبناني حالة من خيبة الامل في ظل غياب آلية لدعم الاعمال المسرحية، على غرار ما تقوم به دول غربية وعربية من تشجيع للفنون خصوصا المسرح واقامة مسارح وطنية مدعومة، مما جعل المسرح في لبنان قائما على المبادرات الفردية وعدم الثبات في الحركة المسرحية لأنه ليس منظما ضمن خطة معينة.

المسرحي الذي ينسج سيناريو ينقل فيه المشاهد الى عالم من الامل والحياة، يشعر منذ سنوات بحيرة بعد ان دفعت ازمة المسرح البعض من المسرحيين الى التوجه نحو التمثيل التلفزيوني لما يوفره من مال ونجومية من دون قناعة مطلقة بهذه الخطوة احيانا، فيما ترك الهم المعيشي الاثر الكبير على حال المسرح الحالي الصعب.

ما كان لن يعود. العصر تغير معطياته وجمهوره، الا ان للمسرح طقوسه التي لن يكون بديلها الكرتوني جامد كاليوتيوب والتلفزيون.

اما مقولة "اعطني خبزاً ومسرحاً اعطيك شعباً مثقفاً"، فتعكس اهمية المسرح في تعزيز القيم والهوية على مر التاريخ، والبعض لا يرى فيه الا مساحة للتهريج.



نصبر - إنجاز - صلابة

يسمحو لبيروت ان تلفظ انفسها الاخيرة في هذا المجال، اذ لا يزال يعمل حتى اليوم في الانتاجات التلفزيونية والسينمائية ويحرك قطاعات واسعة من خلال اعماله.

■ مع الحديث عن ترميم البيكاديلي، هل من الممكن ان تستعاد ايام المسرح الذي كان يوما رمزا لمجد بيروت الثقافي؟

□ المسرح لا يقوم الا بقيام ظروفه، اي لا يتعلق فقط بالمكان. نريد ان تعود بيروت الى الظروف التي امننت لها سابقا، لتقدم واحدة من ابرز التجارب المسرحية في لبنان والعالم العربي والغربي. بالتالي، يجب تأمين الظروف حتى تعود الناس اليها بسهولة وسلاسة كما كانت سابقا. انا لست متشائما، هناك جيل جديد اليوم يعمل في كل مسارح بيروت وهناك حجوزات لمسارح على مدى ثلاثة اشهر، لكننا نحتاج الى القليل من الوقت لبلورة المعطيات والمناهج من اجل الذهاب حتى الى مكان ابعد بكثير مما كنا عليه.

م. ش

بيروت مدينة المسرح، اذ ان اول مسرح في العالم العربي اقيم في بيروت عام 1847 مع مارون نقاش، وبالتالي ليس مستغربا ان يكون للمسرح وجود كثيف في بيروت وان تلعب الصالات المسرحية ادوارا في تطوير التجربة المسرحية، خصوصا في ظل جهوز الاتجاهات التي يجري اختبارها على الاماكن والمسارح. البيكاديلي هو قصر كما يدل عليه اسمه.

■ عندما احترق البيكاديلي واقفل نهائيا، على ماذا اسدلت الستارة؟

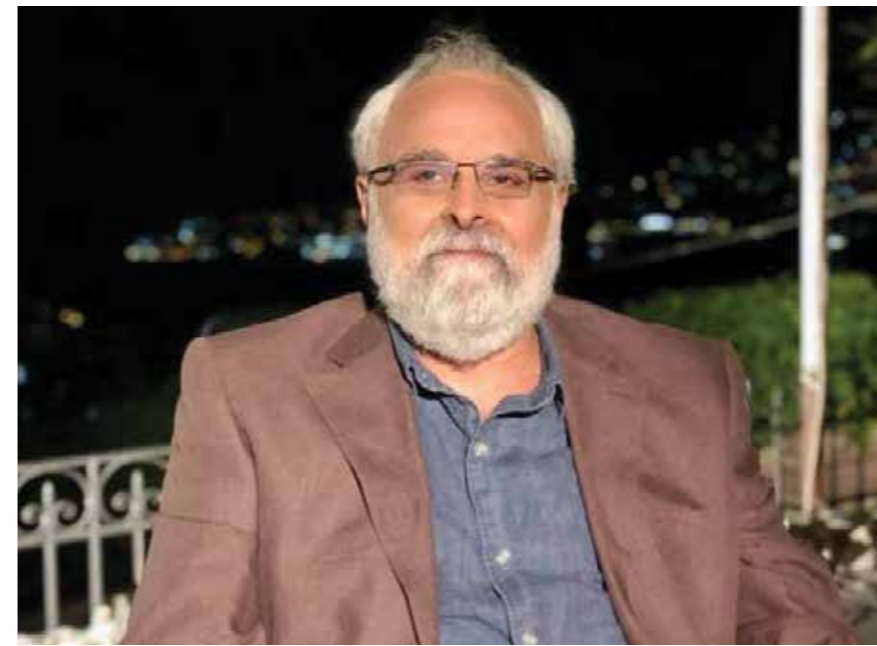
□ عندما احترق القصر اسدلت الستارة على مرحلة من مراحل بيروت المضيئة، وسمعنا مرارا ان وزارة الثقافة ستعيد ترميمه الا ان الوزارة لا تملك الاموال لذلك. اليوم يقوم الاستاذ صادق الصباح بمبادرة مشكورة، فاتصل بوزارة الثقافة مؤكدا استعدادة لترميم القصر، وهو يعلم انه بوجود قصر البيكاديلي في بيروت كمعلم من المعالم الحضارية لا شك في ان نوره سيطاول الاماكن الاخرى. وهو من بين الاشخاص الذين لم

الثقافية والفنية، ما الذي جذب الفنانين العالميين اليه منذ افتتاحه حتى احترقه عام 2000؟

□ قصد البيكاديلي فنانون عالميون كدايدا وازنافور وعادل امام وفريد شوقي، شريهان في مسرحية شارع محمد علي، وميراي ماتيو. ابرز من عمل على خشبة هذا المسرح هم الاخوان رحباني مع السيدة فيروز حيث قدموا معظم اعمالهم عليه، لانه كان مركز استقطاب ومكان لقاء لجميع اللبنانيين. لعبت شخصيات عديدة دورا اساسيا في دعوة الفنانين العالميين الى البيكاديلي، وكان لبنان في حينه مركزا ثقافيا.

■ الى اي مدى ساهم مسرح البيكاديلي في تطور المسرح اللبناني ككل؟

□ لعب مسرح البيكاديلي دورا في تطور المسرح اللبناني بسبب وجود هذه المساحة الجاهزة والجدابة حيث لا يمكن لأي كان تقديم العروض على خشبته، وتطورت كل الصالات طالما ان هناك اماكن قادرة ان تستقبل مسرحيين. كانت



الفنان والناقد المسرحي عبيدو باشا.

معنى الاسواق التجارية، ومن ثم اندلعت الحروب والاجتياحات. وبالتالي، كما عبّر مسرح البيكاديلي عن جزء من تاريخ ازدهار لبنان، عبّر ايضا عن جزء من انهيار هذا التاريخ في لبنان.

## الفنانون العالميون قدموا عروضهم في مكانين؛ كازينو لبنان او البيكاديلي

■ ما الذي ميز هذا المسرح عن غيره من المسارح اللبنانية؟ هل الهندسة المعمارية ام موقعه في شارع الحمرا النابض في ذلك الزمن بالحياة؟

□ الهندسة المعمارية لمسرح البيكاديلي كانت لافتة وتشبه المسارح الاوروبية. استلهمت عمارته من طراز احد القصور في البرتغال، وتميز المسرح بالثريا الشهيرة وبوجود طابقين على الطراز الاوروبي كصالة اوبرا. الهندسة المعمارية اوروبية لأن بيروت كانت جامعة لهندسات معمارية مختلفة، وقصر البيكاديلي كان جزءا من هذا التعدد على الصعيد المعماري في العاصمة. شارع الحمرا كان شارعا ثقافيا وكانت في محيط البيكاديلي ثلاثة مقاه شهيرة: كافيه دو باري، الومبي والمودكا، لكن بانتهاء دور هذا المسرح تحولت هذه المقاهي الى اماكن بيع عادية. بعد اتفاق الطائف انتقل دور بيروت من دور ثقافي الى دور اقتصادي، وانتهت ابرز معالم بيروت في تلك المرحلة.

■ خشب مسرح البيكاديلي معتق بالذكريات

منذ ذلك الوقت، جرت محاولات عديدة لاعادة ترميمه لكنها لم تصل الى الخواتيم السعيدة. في كل مرة كانت الاستعدادات على مشارف نهايتها، ليتوقف بعدها كل شيء من دون اي توضيحات. وزارة الثقافة ادرجت في العام 2018 مسرح قصر البيكاديلي في لائحة الجرد العام نظرا الى الهمية التاريخية والثقافية ووجوب الحفاظ عليه.

بارقة امل في اعاده احيائه ظهرت عند الاعلان عن استعداد المنتج صادق الصباح لترميم المسرح وتأهيله حيث ينوي تصوير احد مسلسلاته الذي تلائمها اجواء هذا المسرح العريق. بدأت المشاورات بين وزير الثقافة في حكومة تصريف الاعمال محمد وسام مرتضى والصباح والمعينين لتذليل العقبات والعمل على اعاده المسرح الى ما كان عليه سابقا، مع الاشارة الى ان الهيئة المقدمة من شركة الصباح لا تكفي لاتمام عملية الترميم الكامل للمسرح، لذا يتم التواصل مع جهات اخرى مانحة للحصول على مبالغ اضافية، على ان يتم الترميم على مراحل. امام كل هذه المحطات التي مرت على قصر البيكاديلي، يستذكر الفنانون تلك الحقبة حين كان صدى اعمالهم يسمع في الارجاء وفي كل زاوية من زوايا هذا المسرح حكاية ابداع وتميز. في هذا الاطار، اجرت "الامن العام" حوارا مع الفنان والناقد المسرحي عبيدو باشا الذي تحدث عن ذكريات لا تنسى وعن صرح كان الوقوف عليه مثابة معمودية النجاح.

■ عند سماعك خبر ترميم البيكاديلي، ما هي ابرز الصور او الذكريات التي استحضرتها في ذهنك كمسرحي وناقد فني؟

□ كثيرة هي الذكريات، فهو واحد من الصروح الكبيرة في لبنان. بالنسبة الي كل المسارح هي معالم حضارية وثقافية، الا ان مسرح البيكاديلي اخذ موقعه لأن جميع الفنانين العالميين الذين قصدوا لبنان قدموا عروضهم في مكانين: كازينو لبنان او البيكاديلي، ومعظمهم في البيكاديلي لانه تحول الى مكان استقطاب لفنانين عالميين. حتى ان القوى السياسية التي سيطرت على قصر البيكاديلي استخدمته، ولا يمكن ان انسى مثلا العرض الذي قدمه الفنان اليوناني العالمي الشهير Theodorakis. شاركت على خشبة مسرحه في مسرحية "زهوة ريفية غير مرخص بها" للاستاذ

